

أثر القيم الإيمانية في انضباط الأفراد (الرقابة الذاتية أنموذجا)

The impact of faith values on the discipline of individuals
(self-censorship as a model)

أحمد حوباد *

جامعة وهران 1 (الجزائر)، houbad.ahmed@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022 /09/25 تاريخ القبول: 2022 /10/20 تاريخ النشر: 2022/12/03

الملخص:

البحث المقدم يعرض لقيمة من القيم الإيمانية، وهي قيمة الرقابة الذاتية، وكيف بإمكانها تقديم حلول عملية لبعض المشاكل التي تعاني منها البشرية، ويعرض لشواهدا من القرآن والسنة، وأثرها في استقامة الأفراد، وانضباط أعمالهم.

وقد خلص الباحث من خلال بحثه إلى أن قيمة الرقابة الذاتية تعتبر خط الدفاع الأول في مواجهة الانحرافات البشرية، وأنه بإمكانها تحصين المجتمع من الانحرافات التي قد تعتري أفرادها، وصنع عناصر إتيقان العمل، وجودته لدى الأفراد.

الكلمات المفتاحية: الرقابة؛ القيم، الإيمانية؛ الذاتية.

Abstract:

the research presented presents a value of faith values, which is the value of self-censorship, and how it can provide pratical solutions to some of the problems that humanity suffers from, and presents its evidence from the Quran and sunnah, and its impact on the integrity of individuals, and the discipline of actions.

The researcher concluded through his research that the value of self-censorship is considered the first line of defense in the face of human deviations and that it can immunize society from deviations that may affect its members and create the elements of mastery of work and its quality among individuals.

Keywords: consorship; values; faith; subjectivity.

مقدمة:

لكل أمة من الأمم نظامها القيمي الذي تهتم به، وتسير في تحقيقه وغرسه في مشاريعها العلمية والعملية.

والقيم عند المسلمين مستمدة من منهجهم الرباني؛ المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، ويتعدى أثرها المجال المناسكي التعبدي، ليشمل جميع مجالات الحياة، الفردية والجماعية؛ التعبدية والمدنية.

وسعادة الإنسان الدنيوية والأخروية مرتبطة بامثال القيم الإيمانية، والتي هي في حقيقتها ليست معلومات مجردة تشحن بها الأذهان، وإنما هي تزكية للنفوس المؤمنة، يتوخى منها صلاح المجتمعات، فإذا لم يسيطر الإيمان على القلب والجوارح، ويتحول إلى قوة باعثة إلى العمل الصالح، فلا قيمة له، وجهود البشرية؛ فلسفات ودساتير، تبقى عاجزة عن تقديم الحلول الجذرية للمشاكل التي تتخبط فيها البشرية، إذ صلاح أحوال البشر لا يتم بمنأى عن الاهتداء بنور الوحي، وما يصنعه من استقامة في النفوس.

ومن القيم الإيمانية التي لها الأثر الكبير على سلوك الإنسان؛ قيمة الرقابة الذاتية، وهي اعتقاد المسلم أنه مراقب في كل أعماله وأسراره وخفاياه، فما هي حقيقتها؟ وما هي شواهدا من القرآن والسنة؟ وما أثرها في سلوك الأفراد؟ وفي العمل وجودته؟

ومن خلال مدخل تمهيدي، خصصه الباحث للتعريف بالقيم الإيمانية، وقيمة الرقابة الذاتية، ومبحثين اثنين، خصص الأول منهما لشواهد الرقابة من القرآن والسنة، وخصص الثاني لنماذج ضبط الرقابة الذاتية لسلوك الأفراد، وأثر الرقابة الذاتية في العمل؛ يهدف الباحث إلى الإجابة على ما طرحه من إشكاليات.

1. مدخل تمهيدي

1.1 التعريف بالقيم الإيمانية

القيم في اللغة: من القيمة، واستقمته ثمنته، واستقام اعتدل، وقيمة الشيء: قدره وقيمة المتاع: ثمنه، ومن الإنسان: طوله (ج) قيم، ويقال ما لفلان قيمة: ماله ثبات ودوام على الأمر.

والقيام: العزم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الكهف: ١٤، أي: عزموا، وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والاصلاح، ومنه قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴿النساء: ٣٤.

والقيم: الاستقامة، ففي التنزيل: ﴿دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الأنعام: ١٦١، أي: مستقيما، قال الزجاج: دين قويم، وقوام، أي: مستقيم¹.

والملاحظ أن التعاريف اللغوية تتفق على وصف القيم بالثبات والدوام والاستقامة.

والإيمانية من الإيمان، وهو في اللغة: من [أمن] أم ن : الأمان والأمنة بمعنى، وقد أمن: من باب فهم وسلم، و أمانا و أمنة بفتحتين فهو آمن، و آمنه غيره من الأمن و الأمان، و الإيمان: التصديق، والله تعالى المؤمن، لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن آمن بضمزتين، لينت

الثانية، ومنه المهيمن، وأصله: مؤامن، لينت الثانية وقلبت ياء؛ كراهة اجتماعهما، وقلبت الأولى هاء².

وأما القيم الإيمانية، فهي: مجموعة المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية التي يختارها الإنسان بحرية بعد تفكير وتأمل، ويعتقد بها اعتقاداً جازماً³.

2.1 التعريف بقيمة الرقابة الذاتية

ر ق ب: (الرَّقِيبُ): الحافظ والمنتظر وبابه دَخَلَ وِ (رَقَبَةً) أَيْضاً وِ (رَقَبَاناً) أَيْضاً بَكَسْرِ الرَّاءِ فِيهِمَا، و(راقب) الله تعالى أي: خافه و (التَّرْقُب) و (الارتقَاب) الانتظار، و (أرقبه) داراً أو أرضاً: أعطاه إياها، وقال: هي للباقي منا، والاسم منه (الرَّقِيبُ)، وهي من (المراقبة)، لأن كل واحد منهما يرقب موت صاحبه⁴.

وأصل كلمة الرقابة في قواميس اللغة من لفظ رقيب، ومن خلال التتبع فإنها تستخدم قديماً بمعنى المراقبة، ولم ترد بلفظ الرقابة إلا عند المتأخرين، فيقال: رقب يرقب رقابة ورقباً ورقوباً، فهو راقب ورقيب، والمفعول مرقوب، ورقب الشيء انتظره، والأمر: لاحظته ورعاه، وترقب: ترصد الاخبار، وراقب الشخص أو الشيء: رقبه حرسه، ولاحظه ورصده⁵.

والذاتية في اللغة من (ذو) للمذكر، و(ذات) للمؤنث، و(ذو) اسم ناقص، ومعناها: صاحب، وهو من الأسماء الخمسة، وتأني بمعنى: عند، أو بما يعبر عن الإرادة، يقال: جاء القوم من ذي أنفسهم، أو من ذات أنفسهم، أي: من همتها ورأيها⁶.

وفي معجم اللغة العربية المعاصر: (ذاتية): مفرد اسم مؤنث، منسوب إلى ذات، مصدر صناعي من ذات، وهي نزعة ترمي إلى تحكيم الذات في حكم أو تكوين الآراء، والانطباعات، عكسها الموضوعية⁷.

وأما الرقابة الذاتية كمصطلح، فيعرفها عبدالرحمن الضحيان بأنها: "رقابة الشخص على نفسه مؤمناً ومستشعراً رقابة الله تعالى، وأنَّ ما يقوله وما يعملُه مسجَّل له أو عليه؛ لذا فهو يراجع أقواله وأعماله، ويزنُّها بميزان الشرع الإسلامي"⁸

فهي رقابة تنبع من داخل النفس الإنسانية؛ خشية غضب الله، وسعيًا إلى مرضاته، والعمل على راحة النفس، وهي رقابة الضمير، ببعد إيماني، تباشر سلطة داخلية في الإنسان، فتوقظ فيه الضمير، وتعمق الشعور بالالتزام، دون الحاجة إلى وجود رقابة خارجية.

2. الرقابة في القرآن والسنة

تربي الشريعة الإسلامية من خلال نصوص القرآن والسنة الضمير الإنساني ليكون رقيباً على كل عامل وموظف في السر والعلن، ويخشى العقاب الأخروي أكثر من خشيته للعقاب الدنيوي، وبذلك يقيم ضميره رقيباً على نفسه، وبهذا تمتاز الأخلاق الإسلامية عن النظم والنظريات الأخلاقية الوضعية التي لا تقيم أخلاقها إلا على المنفعة، ومراعاة الظاهر فحسب.

والرقابة الذاتية لدى المسلم نابعة من الوازع الديني الذي يقوم على عقيدة راسخة بأن الله مطلع على جميع أعماله وتصرفاته؛ ما خفي منها وما ظهر، سواء أظهرها للخلق أو أخفاها عنهم، وهي غير رقابة الضمير التي هي وازع دنيوي، يمكن أن يتأثر بالمال أو الجاه، أو بأي إغراء من مغريات الحياة⁹.

1.2 الرقابة في القرآن

يحث القرآن الكريم عديد الآيات لبيان رقابة الله عز وجل على عباده، وإطلاعه على جميع أحوالهم:

— قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١، والرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك، أي: حافظاً مطلعاً على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال، وعلى ما في

ضمائركم من النيات، مريدا لمجازاتكم بذلك، فبين الله تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وأنه إذا كان كذلك؛ فيجب أن يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتي ويذر¹⁰.

-قال الله تعالى: ﴿وعند مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾ الأنعام: ٥٩.

-قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد: ٤ ، أي: يعلم ما يصعد إليها من الأعمال والملائكة وغير ذلك، لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)، أي: بصير بأعمالكم يحصيها عليكم حتى يجازيكم بها يوم القيامة¹¹.

-قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المجادلة: ٧ ، أي: يطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله مع ذلك أيضا تكتب ما يتناجون به، مع علم الله وسمعه لهم¹².

-قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ آل عمران: ٥.

-قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ رِبْكَ لِلْمَرَصَادِ﴾ الفجر: ١٤ ، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد¹³.

-قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ غافر: ١٩ ، قال ابن كثير: يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم، فيسحيوا من الله تعالى حق الحياء، ويتقوه حق التقوى، ويراقبوه مراقبة من يعلم انه يراه، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة، وإن ابدت امانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر¹⁴.

ويقول تعالى مخاطبا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠ ، أي: الذي يراك حين تقوم إلى الصلاة، وتقلبك

راكعاً وقائماً وساجداً وقاعداً في الساجدين- أي: حين تقوم للصلاة، وتتصرف فيما بين المصلين بقيامك وركوعك وسجودك وقعودك إذا أممتهم¹⁵.

والقرآن بذلك يغرس في نفس المسلم شيئين؛ الأول منهما أنه إذا كان الله مراقب له ومطلع عليه؛ فلا يبالي بغيره، إذ مراقبته سبحانه من أفضل الطاعات، والثاني منهما أن يعيش الفرد في حذر وخشية، إذ هو يعلم يقيناً أن نفسه مكشوفة لخالقه، لا يحجبها ستر، فيقوى لديه عنصر (الرقابة الذاتية)؛ إذ قد أخبره خالقه أنه قد وكل به ملكان عن اليمين والشمال لتسجيل أقواله وأعماله، قال تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ق: ١٧- ١٨، أي: ولها من يراقبها، معتد لذلك، لا يترك كلمة ولا حركة¹⁶.

بل وأخبره خالقه أيضاً أن هذه الجوارح التي ربما تكون مصدر المخالفة، هي التي ستكون شاهدة عليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ويوم نحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ فصلت: ١٩.

فالرقابة الذاتية ثمرة علم العبد بأن الله سبحانه وتعالى رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، ومطلع على عمله وفعله، في كل وقت، وفي أي مكان، والمسلم حينما تتعمق قيمة (الرقابة) في قلبه، وتستقر في نفسه، يظهر أثرها في سلوكه، فيخلص النية والقصد في عمله، ويرجو بذلك مرضاة الله وحده، ويفعل الخير ويراعي ضميره في أداء وظيفته وإنجاز عمله.

2.2 الرقابة في السنة

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا يحتذى به في الممارسة العملية للرقابة الذاتية، فقد كان يلزم نفسه وأصحابه بمحاسبة النفس ومراقبتها في جميع الأعمال، وذلك من خلال التذكير الدائم بمعية الله، ومراقبته لعبده في جميع شؤون، فتربى أصحابه على توجيهاته وتعليماته، ومن ذلك:

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله، يحفظك، احفظ الله، تجده جُهاًك، إذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)¹⁷.

وهو توجيه لابن عمه رضي الله عنهما ليُجعل خوف الله ومراقبته هما الأساس.

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)¹⁸.

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمان)¹⁹ فالْمُؤْمِنُ الذَّكِيُّ هو الذي يدين نفسه، ويتقي الله في كل صغيرة وكبيرة.

-وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (زودني كلمة أعيش بها، قال: استح الله، كما تستحي رجلاً من صالح عشيرتك لا يفارقك)²⁰.

ومن الأساليب التي اعتمدتها السنة لغرس قيمة الرقابة في النفوس بالإضافة إلى ما سبق نقله من التذكير الدائم بمعية الله:

أ-أسلوب القصص: الأسلوب القصصي في القرآن والسنة من أفضل الوسائل للتربية على القيم الدينية والخلقية، والتوجيهات السلوكية والاجتماعية.

وكما استخدم القرآن الكريم الأسلوب القصصي لغرس القيم، قال تعالى: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ الأعراف: ١٧٦ ، وذلك من خلال سوق الأدلة العقلية لتقرير العقيدة؛ إذ لا صلاح إلا بها، ولا تربية بغير إيمان؛ استخدمت السنة الأسلوب القصصي للتأثير في نفس المسلم، وتربية خلقه وتهذيبه، بما فيه من مواعظ وعبر وإرشاد وتوجيه.

ومن القصص التي جاءت بها السنة النبوية لتقرير قيمة المراقبة:

1- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما ثلاثة نفر من كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليه، فقال بعضهم لبعض: إنه والله ياهؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه... فقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيته بما فدفتها إليها، فأمكنني من نفسها، فلما قعدت بين رجلها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقممت وتركته المائة دينار، فإن كنت تعلم أي فعلت ذلك من خشيتك، ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا)²¹.

ب- التربية بالقدوة: القدوة هي أفضل الطرق لاكتساب الأفراد الفضيلة الأخلاقية الخاصة بالرقابة الذاتية، إذ تعد تصرفاتنا النص الحي للآخرين، وفي السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتمد أسلوب القدوة لغرس قيمة الرقابة في نفوس أصحابه؛ فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يفتش جيشه، فوجد جندياً خارجاً عن الصف، فوكزه في بطنه؛ ليستقيم مع الصف، فتألم الجندي، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن طلب من الجندي أن يقتص لنفسه، وكشف بطنه له، فبادر الجندي إلى تقبيل بطنه صلى الله عليه وسلم، حيث كان عليه السلام وهو الرئيس الأعلى قدوة للمسلمين حين مكن صاحب المظلمة من القصاص منه، على الرغم من أن ذلك العمل كان على سبيل التوجيه للجنود، والحزم في مواقف الجد.

3.2 الرقابة من خلال اسم الله (الرقيب)

العلم بأسماء الله وصفاته من أشرف العلوم، إذ شرفها بشرف المعلوم، والمعرفة بالمعاني الكبيرة لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا تعيد صياغة النفس، وصقل الروح.

والمقصود الأعظم من العلم بأسماء الله وصفاته هو التخلق بها، واستجلاب معانيها، لتكون حركة الإنسان في حياته فرداً ومجتمعاً وأمة على أنوارها؛ فيعم الإصلاح والإصلاح، قال الزروقي: (كل الأسماء يصح التخلق بمعانيها، إلا الاسم (الله) فإنه للتعليق فقط)²².

وقد ساد التاريخ الإسلامي في بعض فتراته جدل ذهني حول الأسماء والصفات أحالها إلى قضايا ذهنية تجريدية فلسفية باردة، تجهد الذهن، ولا تحرك القلب، وأخذ فاعليتها وأثرها في النفوس، وإلا فهي تؤدي مهمة كبيرة في هداية القلب البشري، وربطه بالله سبحانه وتعالى²³.

قال الإمام أبو حامد الغزالي: (فأما معرفة الله وصفاته وأفعاله، فلا تحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه، ومانعاً عنه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية)²⁴.

وقيمة المراقبة متضمنة في اسم الله (الرقيب)، فهو سبحانه وتعالى العالم المحيط بما ظهر وما بطن، قال تعالى: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم).

وإيمان العبد وتصديقه بأن الله مطلع عليه، ومراقب له في السر والعلن، وتصديقه بأن الله سينبئه بكل ما صدر منه من قول أو فعل، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، وأن من يعمل مثقال ذرة شراً يره، كل هذا يدفع العبد إلى محاسبة نفسه قبل أن تحاسب، وينهاها عن هواها، ويجتهد في أن لا يصدر منه ما يسوؤه غداً.

3. نماذج ضبط الرقابة الذاتية لسلوك الأفراد، وأثر الرقابة الذاتية في العمل

1.3 نماذج ضبط الرقابة الذاتية لسلوك الأفراد

اعتمد الإسلام منظومة الحدود والتعزيرات لبسط سلطة القانون، وسلك في ذلك مسلكي الوقاية والعلاج، فالعلاج والتطهير من خلال إقامة الحدود على المخالفين، وأما الوقاية فمن خلال تقبيح المخالفات، والوعيد الشديد عليها في الدنيا والآخرة، والتذكير برقابة الله عز وجل على الأفراد.

ولقد فهم السلف الأوائل معنى الرقابة الذاتية، ومارسوها في حياتهم اليومية ممارسة سليمة، فكانوا يراقبون الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة، ويحاسبون أنفسهم على كل عمل قصرُوا فيه؛ انطلاقاً من إيمان راسخ بأن الله مطلع على جميع أعمال عباده.

ففي سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى أنس بن مالك أنه سمعه من وراء جدار يحاسب نفسه، ويذكرها بمراقبة الله: (بخ بخ والله يا ابن الخطاب لتتقين الله، أو ليعذبنك)²⁵.

وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو على قَتَب، فقال له: أين؟ فقال: بعير من إبل الصدقة فر، وأنا أطلبه، فقال علي: لقد أذلت الخلفاء من بعدك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: لا تلمني، فوالله ذي بعث محمداً بالنبوة، لو أن سخلة ذهبت بشاطئ الفرات، لأخذ بها عمر يوم القيامة)²⁶.

وكان عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس يلزم نفسه بمراعاة الله، ومراقبته في جميع أحواله وتصرفاته، فقد روي عنه أنه أضاع شعة من مال المسلمين، لينظر على ضوئها في شؤونهم، وبينما هو يسأل محدثه عن أحوال المسلمين؛ إذ به يقول له: وكيف حالك يا أمير المؤمنين؟ فقام وأطفأ الشمعة، وأتى بغيرها، وقال لمحدثه: كنت أضىء شعة من مال المسلمين وأنا في مصالحهم، أما وأنت تريد أن تسأل عن أحوالي، فقد أضأت شعة من مالي الخاص²⁷.

وعبر التاريخ الإسلامي وردت عديد القصص والحوادث التي بينت عظيم خطر عنصر الرقابة، وكيف يستطيع أن يصنع الفارق بين الإنسان الصالح وغيره، وكيف يمكنه الحد من مظاهر الغش والخداع التي لا تستطيع القوانين أن تطاهاها، ومما ورد في ذلك:

—أن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم، قال: (بينما أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعس المدينة؛ إذ أعيا واتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابتنا قومني إلى ذلك اللبن، فامدقيه بالماء، فقالت لها: يا أمته، وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديا فنادى: ألا يشاب اللبن

بالماء، فقالت لها: يا بنية، قومي إلى اللبن فامدقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأُمها: يا أمتاه، ما كنت لأطيعه في الملاء، وأعصيه في الخلاء، وعمر رضي الله عنه يسمع كل ذلك²⁸.

— أن عبد الله بن دينار، قال: (خرجت مع ابن عمر رضي الله عنه إلى مكة، فانحدر علينا راع من الجبل، فقال ابن عمر: أراع؟ قال: نعم، قال: بعني شاة من هذه الغنم، قال: إني مملوك، ثم أراد ابن عمر أن يختبر أمانة هذا المملوك فقال: قل لصاحبها: أكلها الذئب. قال الراعي المستشعر لرقابة الله له: أعتقتك هذه الكلمة في الدنيا وأرجو أن تعتقك في الآخرة)²⁹.

—ولما قدم الفاتحون بالأموال إلى عمر بن الخطاب، وأسماهم بالية، وقد عفوا عن تلك الأموال، وقد كان بإمكانهم الأخذ منها، نظر إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: (إن قوما أدوا هذا لذووا أمانة)³⁰.

وما نقل من روايات هي وقائع تثبت أن الرقابة الذاتية هي التي يمكن أن تحد من المخالفات التي يمكن أن لا تطالها القوانين.

2.3 أثر الرقابة الذاتية في العمل

الرقابة الذاتية، هي رقابة الإنسان على نفسه، وإنما تترسخ لدى الفرد بمراقبته لربه، وتيقنه بإطلاع الله على سره وعلا نيته، وأنه سبحانه وتعالى ناظر إليه في شتى حالاته؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء: ١.

والرقابة الذاتية هي رقابة العامل لنفسه في سره وعلا نيته، يحدوه في ذلك مخافة الله في أعماله، والله تعالى لا يعزب عن علمه شيء، بل يعلم السر وما خفي في الصدور، والعامل إذا آمن بقدرة الله عليه، وبمراقبته لأعماله، ومحاسبته عليها؛ هانت عليه وصغرت أمامه جميع أنواع الرقابة.

والرقابة الذاتية تربي في العامل النفس اللوامة التي تحاسب صاحبها وتلومه على سوء تصرفه، فهو يسعى لاتقانه على أحسن وجه حتى يسلم من تبعات ذلك.

ولا تتعلق قيمة (الرقابة الذاتية) لدى العامل بالتزامه الظاهر بما وكل إليه من أعمال، بل تتعدى ذلك لتتعلق بأداء العمل من حيث إتقانه، والاهتمام بجودته وتطويره؛ فقد روى مسلم أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث، لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة)³¹.

والعامل والموظف إذا نصح في عمله، وتفانى في أداء واجباته، فقد كسب الخيرية من أركى البشرية، وما أعظمه من وسام، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح)³².

فالرقابة الذاتية في العمل هي أقوى أنواع الرقابة التي يمكن أن تعتمد عليها الإدارات، ذلك أن المسلم يعلم أن وجوده في هذه الحياة أساساً لعبادة الله تعالى، ومن ثم فإن كل أعماله وأفعاله، بما فيها وظيفته، عبارة عن ابتلاء من الله تعالى؛ لمعرفة مدى طاعته لأوامره، واجتنابه لنواهيه، ومن ثم المحاسبة عليها من الخالق سبحانه.

والرقابة الذاتية لدى العامل تخفف العبء والضغط بشكل كبير عن أجهزة الرقابة الأخرى الداخلية منها والخارجية، مما يساعد على تحقيق أهداف العمل على الوجه المنشود، وتخفيف الضغط عن الجهات الرقابية الأخرى، مما يسهل أعمالها، فضمير المسلم متى كان مسيطراً على أعماله وأقواله وفكره، فإن الرقابة الإدارية، ورقابة المجتمع، ورقابة القضاء، تنقلص إلى أدنى حد³³.

ولذلك تعد الرقابة الذاتية بمثابة خطّ الدفاع الأول في مواجهة الانحراف الإداري، ولذلك فالنظام الإداري الإسلامي يهتم بهذا النوع من الرقابة الإدارية اهتماماً كبيراً.

الخاتمة :

إن الاستمداد الرباني للقيم عند المسلمين، يجعلها مبيّنة لنظيراتها من القيم عند غيرهم، وقيمة الرقابة الذاتية قيمة دعت إليها نصوص القرآن والسنة، ورغبت فيها، ومدحت أهلها.

ولقد صنعت قيمة الرقابة الذاتية نماذج من نور عبر تاريخ الأمة، استطاعت من خلالها أن تكون خط الدفاع الأول في مواجهة الانحرافات البشرية.

وبإمكان قيمة الرقابة الذاتية بالإضافة إلى تحصين المجتمع من الانحرافات التي قد تعتري أفرادها، أن تصنع عناصر إتقان العمل، وجودته لدى الأفراد؛ ذلك أن أي عمل مهما اكتملت عناصر جودته، وتوافرت أسباب نجاحه، فإنه دون عنصر الرقابة الذاتية يبقى ناقصاً.

المراجع:

- ابن الأزرق، شمس الدين محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي (896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط1، د.تا.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (774هـ)، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (774هـ)، مسند الفاروق عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم، تح: إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح، مصر، ط1، 1430هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ)، لسان العرب، د.تح، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ)، مسند الإمام أحمد، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ.
- إسماعيل، أبو الفداء حقي بن مصطفى الإستانبولي (1127هـ)، روح البيان، د.تح، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.تا.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، ط1، 1422هـ.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي(510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك(279هـ)، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ.
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ.
- الرازي، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(666هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1420هـ.
- الشيحاني، حمو، المنهج النبوي في تعزيز القيم الإيمانية وأثره في حياة المسلم المعاصر، مجلة الصراط، العدد18، رقم1، 2016م.
- الضحيان، عبد الرحمن بن إبراهيم، الرقابة الإدارية من المنظور الإسلامي المعاصر والتجربة السعودية، أبها، الرياض، ط1، 1994م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، د.تح، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.تا.
- الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب(817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب توثيق التراث في الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ.
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش(437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، تح: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ.
- عبد الحميد، أحمد مختار(1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1429هـ.
- قطب، محمد، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الشروق، القاهرة، د.ط، 1415هـ.

- مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني(179هـ)، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، 1406هـ.
- مجموعة علماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1393هـ.
- مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.تا.
- مسلم، محمد عليوة حميد، الرقابة الذاتية وكيفية الإفادة منها في إدارة التعليم العام، مجلة(دراسات تربوية ونفسية)، كلية التربية، جامعة الزقازيق، 2003م.

الهوامش:

- ¹ الرازي، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(666هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1420هـ: ص262؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(711هـ)، لسان العرب، د.تح، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ: ج12، ص496؛ الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب(817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب توثيق التراث في الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ: ص1152.
- ² الرازي، مختار الصحاح، ص20.
- ³ الشيباني، حمو، المنهج النبوي في تعزيز القيم الإيمانية وأثره في حياة المسلم المعاصر، مجلة الصراط، العدد18، رقم1، 2016م: ص36.
- ⁴ الرازي، مختار الصحاح، ص126.
- ⁵ عبد الحميد، أحمد مختار(1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1429هـ: ج2، ص922.
- ⁶ ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص364.
- ⁷ أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص802.
- ⁸ الضحيان، عبد الرحمن بن إبراهيم، الرقابة الإدارية من المنظور الإسلامي المعاصر والتجربة السعودية، أجا، الرياض، ط1، 1994م: ص92.
- ⁹ ينظر: مسلم، محمد عليوة حميد، الرقابة الذاتية وكيفية الإفادة منها في إدارة التعليم العام، مجلة(دراسات تربوية ونفسية)، كلية التربية، جامعة الزقازيق، 2003م: ص86-166.
- ¹⁰ إسماعيل، أبو الفداء حقي بن مصطفى الإستانبولي(1127هـ)، روح البيان، د.تح، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.تا: ج2، ص160.

- 11 القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش (437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، تح: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ: ج11، ص7307.
- 12 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ: ج8، ص73.
- 13 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي (510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ: ج5، ص251.
- 14 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص124.
- 15 مجموعة علماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1393هـ: ج7، ص1637.
- 16 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص372.
- 17 الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (279هـ)، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ: أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 2516، قال الألباني: صحيح.
- 18 الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في معايشة الناس، رقم: 1987، قال الألباني: صحيح.
- 19 الترمذي، سنن الترمذي، أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 2459، قال الألباني: ضعيف.
- 20 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (774هـ)، مسند الفاروق عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم، تح: إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح، مصر، ط1، 1430هـ: رقم: 874، باب: حديث يذكر عند قوله تعالى (إلا هو معهم).
- 21 متفق عليه، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، ط1، 1422هـ: رقم: 3465، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار؛ مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.تا: رقم: 2743، كتاب: الرقاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل، واللفظ للبخاري.
- 22 إسماعيل حقي، روح البيان، ج9، ص457.
- 23 ينظر: قطب، محمد، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الشروق، القاهرة، د.ط، 1415هـ: ص59.
- 24 الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، د.تح، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.تا: ج1، ص23.
- 25 مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (179هـ)، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، 1406هـ: ج2، ص992، رقم: 24.
- 26 ابن الأزرق، شمس الدين محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي (896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط1، د.تا: ص82.

- ²⁷ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ: ج5، ص136.
- ²⁸ ابن كثير، مسند الفاروق، ج2، ص129.
- ²⁹ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص216.
- ³⁰ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (774هـ)، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ: ج7، ص78.
- ³¹ مسلم، صحيح مسلم، رقم: 142، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.
- ³² أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ)، مسند الإمام أحمد، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ: رقم: 8393.
- ³³ ينظر: مسلم عليوة، الرقابة الذاتية وإمكانية الإفادة منها في إدارة التعليم العام، ص33.

